**كلية : الآداب**

**القسم او الفرع : / قسم الاجتماع**

**المرحلة: المرحلة الثانية**

**أستاذ المادة : أ. م . د . وفاء كاظم علي**

**اسم المادة باللغة العربية : المجتمع العراقي**

**اسم المادة باللغة الإنكليزية : Iraqi Society**

**اسم المحاضرة الخامسة باللغة العربية: علماء الاجتماع الذين تأثر بهم علي الوردي في صياغة فرضياته الاجتماعية .**

**اسم المحاضرة الخامسة باللغة الإنكليزية : Sociologists who were influenced by Ali Al-Wardi in formulating his social hypotheses.**

**محتوى المحاضرة الخامسة**

## علماء الاجتماع الذين تأثر بهم علي الوردي في صياغة فرضياته الاجتماعية

.

- كارل منهايم : المنظر الثاني الذي اعتمد الوردي على نظريته القائلة « ان الافكار البشرية على نوعين متضادين هما :

أ - الأفكار الحافظة التي تؤيد النظام القائم.

ب -الأفكار المعارضة التي تدعو إلى نظام مثالي.

ويذهب مانهايم إلى أن أصحاب المصالح القائمة هم عادة من أولي الأفكار المحافظة ، فهم يدعون إلى تدعيم الواقع الراهن فليس في الإمكان أبدع مما كان ، وكل إصلاح يعد في رأيهم مربكا للمجتمع ومقلقا لنظامه القائم . وقد وجدنا نظرة الوردي للمجتمع الإنساني قد اقتبست من هذا النص الذي قدمه مانهايم .

٣– المنظر الثالث الذي اعتمد الوردي عليه هو وليم كراهام سمتر في قوله « إن المثل العليا سلاح للمتذمرين ، أما القيم الاجتماعية فهي التي يستخدمها أولو النفوذ في المجتمع لكي يدعموا بها نظامهم القائم ولو كان ظالما)) ، جاء الوردي بهذا النص لكي يقول : « ان من خصائص كل دعوة إصلاحية جديدة أنها تفرق الجماعة ، ذلك لان المترفين يقفون لها بالمرصاد ويقاومونها ما استطاعوا الى ذلك سبيلا.

٤ – دورين وريز عندما قالت : « إن النتيجة المباشرة لمشاريع الاعتمار الجديدة في العراق الشقة بين الاغنياء والفقراء ، فزيادة الأموال لم تخدم سوى الأغنياء الذين زاد استهلاكهم للسيارات الضخمة ومكيفات الهواء والدور الباذخة ، أما الصرائف ( بيوت يعيش فيها الفقراء مبنية من البردي الطين وسعف النخيل ) فهي في ازدياد مائل » . ذكرها الوردي فيقول (اني اشعر بألم كلما نظرت إلى ظاهرة عمرانية جديدة في العراق أنها تعطي في نظري بعض التضخم في المال والترف لدى فئة قليلة من الناس ، حيث لا يجني الباقون منها سوى غلاء الأسعار وانخفاض مستوى المعيشة .

وأخيرا تناول موضوع نقد الوردي لبعض الظواهر والمشاكل الاجتماعية التي سادت الربع الثالث من هذا القرن . لا مراء أن النقد السوسيولوجي يعني النظرة التقويمية لنمط سلوك الأفراد او طريقة تفكيرهم في وضعية اجتماعية معينة ، أو عند مواجهة موقف اجتماعي خاص ، او تسليط الضوء على تناقضات ظاهرة اجتماعية سائدة في المجتمع ، أو تنبيه الأفراد إلى انعكاسات سلبية لمشكلة اجتماعية على شريحة اجتماعية في المجتمع ، أو اختبار نظرية اجتماعية في مجتمعات أو ثقافات متباينة في بنائها وتراثها وتاريخها أو استخدام المنطق العلمي في تحليل بعض الوقائع الاجتماعية .

جميع هذه الممارسات المعرفية مطلوبة من الباحث الاجتماعي الملتزم بمنهجية علم الاجتماع

والمعروف ان علم الاجتماع دخل إلى العراق عن طريق جامعة بغداد في العقد الخامس من هذا القرن ، إلا ان متخصصي هذا العمل المعرفي في ذلك الوقت ـ لم يتوقفوا عند مهمة تدريس الطلبة بل تفاعلوا مع تاريخ و تراث وواقع المجتمع العراقي بشكل لافت للنظر مما شدَّ مثقفي المجتمع وسائر أبنائه إلى الموضوعات التي قدموها في الصحف والكتب والتلفزيون والراديو ، فضلا عن ذلك فأنهم عرفوا اهتمامات هذا العلم الحديث الى أفراد المجتمع العراقي.

أحد رواد هذا العلم في العراق هو الدكتور علي الوردي الذي لعب دورا متميزا ومؤثرا في تقويمه العديد من الأنماط السلوكية والفكرية للمجتمع العراقي ، وتسليط الأضواء على تناقضات عديدة فيه ، فضلا عن تنبيهه إلى أخطار بعض المشكلات الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع العراقي ، فكان ناقدا لامعا في تقويمه وبناءه " في تقديم بدائله التي كان قدمها عند تقويمه الأحداث الاجتماعية ، وجريئا في طرحه موضوعات لم يتطرق اليها من قبل لأنها ملتصقة بحياة تقليدية مليئة بالتخلف والجمود . لذا فان التطرق إليها لا يسلم من تجريح وتقريض او خطورة اعتبارية وخسارة مادية او طعون متعددة الجوانب ، وقد أتت هذه الانعكاسات السلبية إلى الدكتور الوردي وتقبلها ورد عليها بأسلوب متواضع ملتزما بنهجه النقدي ...

اختار الوردي عدة ظواهر اجتماعية سلبية كانت سائدة في المجتمع في العراقي في النصف الأول من هذا القرن . ومما لاشك فيه أنه لا يوجد في مجتمع إنساني خال من سلم اجتماعي يعكس مواقع فئاته الاجتماعية والمسافات الاجتماعية التي بينها ، وقد اختار الوردي

ثلاث حالات تمثل الفجوة الاجتماعية بين الفئات العراقية وهي :

أولا ـ الشيخ والفلاح : حيث كانت العلاقة بين الشيخ والفلاح قائمة الاستغلال ، أي بين مالك ارض وفاقدها او بين مالك الإنتاج والأيدي العاملة التي يتحقق الإنتاج بجهدها أو بين المقربين من السلطة والمبعدين الفئات عنها ، وقد أرجع الوردي ذلك الى عاملين هما :

١ - قوة الحكومة المركزية في السيطرة على المجتمع .

٢- تجديد الأرض وتسجيلها باسم الشيخ .

أي أن الأرض أصبحت ملكا خاصا للشيخ بقوة القانون وبحمايته ضد اي منافس يطمع في اغتصابها منه ، وبذا ترك الشيخ عشيرته واستقر في العاصمة بغداد يتقرب فيها من الحكام ويعمل على تدعيم كيانه وكيانهم وهذا يعني أن الشيخ ترك وكلائه في القرية ليشرفوا على استغلال رعيته ولا يزورها الا قليلا ، فلم تبق مصالحه الخاصة مرتبطة ارتباطا وثيقا بمصلحة قبيلته ، ولم ينل مكانته الاجتماعية منها بمقدار ما يخدمها ويحرص على منفعتها بينما كانت علاقة الشيخ بالفلاح في العهد العثماني قوية جدا وذلك راجع في رأي الوردي

إلى :

ا - ضعف الحكومة المركزية .

٢- عدم وضوح حدود الأراضي لان معظمها غير مسجل .

٣ ـ استحواذ القبيلة على الأراضي بالقوة واستثمارها .

٤ ـ سيادة النظام العشائري.

وفي ضوء ذلك فان الشيخ يتعاون مع الفلاح على زراعة الأرض ويتقاسمان الحاصل بعد ذلك على أساس من العرف المتفق عليه ولم تكن حصة الشيخ من إنتاج الأرض إلا ما كان يساعده على القيام بواجبات الزعامة المتعاون عليها . معنى ذلك أن الشيخ العشائري فقد وظيفته الاجتماعية في الاستشارة والاعتبار الاجتماعي ولم يبق متبوعا من أبناء عشيرته بل أصبح مالكا لوظيفة اقتصادية مستغلة يمارسها من أجل السيطرة القسرية الإلزامية على فلاحي أرضه الذين كانوا في الأصل أبناء قبيلته ، وتحت هذا الوضع العلائقي المستغل خلقت الفجوة الاجتماعية.

ثانيا : الفجوة بين الغني والفقير في المدينة : من خلال المناطق السكنية لكلا الفئتين بحيث أصبحت محلات طبقية في كل مدينة عراقية ، يقول الوردي في هذا الصدد، أخذ الغني الحضري يتغير كما يتغير الشيخ الريفي وأمسى لا يتحمل السكنى في وسط محلته بين العفن والروائح الكريهة وهو لا يكاد يرى الفرصة سانحة له حتى يفر إلى إحدى الضواحي فيبني فيها قصرا فخما وهناك يسكن إلى جوار أقران له من شيوخ العشائر وأغنياء المدن بين تغريد الطيور وعبق الأزهار ، وإذا اضطر إلى المرور بزقاق من أزقة محلته القديمة وضع منديله على أنفه واخذ يتأفف من كسل الصعاليك وقذارتهم وقد نشأت من جراء ذلك محلات طبقية في كل مدينة لا سيما عاصمة الرشيد بغداد اذ يسكن الاغنياء في مكان معين لهم ويسكن الفقراء في امكنة أخرى وكلما ازداد العمران في العراق ، اشتد هذا الانفصال الاجتماعي بين الغني والفقير ، ويضيف الوردي الى ما تقدم فيقول : اننا قد لا نشعر بوطأة الاستقطاب الطبقي في الوقت الحاضر ، ولكننا نشعر به بعد سنوات معدودة وذلك عندما يكبر الأطفال الذين ينشئون الآن في بيوت الدلال ونحن اليوم نجد هذا عند ابناء الشيوخ فهؤلاء بدءوا يفوقون آباءهم في الإسراف . والظاهر ان المسنين من شيوخ العشائر لا يزالون يحتفظون ببعض تقاليدهم القبلية القديمة . اما أبناؤهم فقد أخذوا ينسون الماضي وينغمسون في حاضرهم المغري إلى الأذقان وكثيرا ما نرى احدهم يقسو على فلاحيه من اجل حفنة من القمح حتى إذا تراكمت لديه الأموال ذهب بها إلى المراقص فالقاها في أحضان الغانيات المتغنجات ، في الواقع أن هذه الفجوة الاجتماعية قائمة على الدخل والعامل الاقتصادي بشكل متميز ، وان الفجوة الأولى أسهمت بشكل غير مباشر في إحداث هذه الفجوة . وقد لا أتفق الأستاذ الوردي عندما ارجع شدة انفصال الأغنياء عن الفقراء لزيادة العمران في العراق ، بل نستطيع أن نرجعها إلى تراكم الثروة والدخل لأغنياء المدينة ، واستمرار مجيء الشيوخ من الريف والاستيطان في المدن يجعل الانفصال الاجتماعي والاقتصادي والسكني بين المجموعتين ممكنا . لقد أثار الوردي هنا حالة اجتماعية تتناقض مع الفرضيتين التي اعتمدهما في دراساته وهي « لقد ذكر ان ابناء الشيوخ في المدينة يفوقون آباءهم في الإسراف والبذخ وأنهم أخذوا ينسون الماضي وينغمسون في حاضرهم المغري الى الاذقان أي ان الجيل الثاني من المهاجرين من الريف الى المدينة قد تحضر وتخلى عن قيمه القبلية وتشرب بقيم المدينة الحضرية فلم يقع صراع بين قيم . البداوة والحضارة والانشطار في شخصيته او ازدواجية فيها.